الفصل الخامس

نشاطه الاجتماعي ورحلاته

ـ نشاطه في ميدان الخدمة الاجتماعية:

- تبنّي حركة العمال
- رفع مستوى القرى والفلاحين
- إنشاء المدارس والمعاهد
- الأندية الرياضية
- المعسكرات الكشفية
- أعمال التعاون الخيري

ـ المؤتمرات والرحلات

ـ رحلات الحج والعمرة.

obeikan.com

obeikandl.com

نشاطه في ميدان الخدمة الاجتماعية:

مرت البلاد السورية في عهد الاحتلال الفرنسي بأحوال اجتماعية سيئة.. فقد انتشر الجهل والفقر والمرض، ووقعت البلاد فريسة للفساد والمظالم الاجتماعية..

وبعد رحيل المستعمر وإعلان الاستقلال عمل السباعي وإخوانه على خدمة الشعب وتحريره من الشرور والمفاسد والمظالم..

وكان للسباعي جولات وجولات في ميدان الخدمة الاجتماعية، ومن أبرز الصفات التي عرفت عنه قدرته الفائقة على التحسس بمشكلات الحياة الراهنة.. فقد كان يعيش بعقله ولبّه وبقلبه وعاطفته، ولهذا استطاع أن يجعل علمه وثقافته الإسلامية حيّة، وأن يصل بين تعاليم الإسلام ومشكلات الحياة. ومن أبرز الأعمال التي قام بها:

● **تبنّي حركة العمال:**

تبنّى السباعي وإخوانه حركة العمال، وحملوا عبء الدفاع عن حقوقهم، وطالبوا برفع مستواهم المادي والاجتماعي والأخلاقي، وتبنوا مطالبهم في المجلس النيابي. وكان للسباعي دور كبير في النص على حقوق العمال في الدستور السوري، كما عمل مع إخوانه من نواب الإخوان على إنشاء مدارس للعمال لتعليمهم ورفع مستواهم الفكري وإخراجهم من نطاق الأمية، وتوجيههم إلى الخير، وإفهامهم حقوقهم وواجباتهم.. ولم يقتصر على إنشاء هذه المدارس في دمشق وحدها بل عمل مع إخوانه على إنشاء مدارس للعمال في جميع المحافظات ومعظم

الأقضية والقرى. . وبلغ عدد العمال الذين يتلقون العلم فيها أكثر من خمسة آلاف عامل يتعلمون بالمجان، وأنهى كثير من هؤلاء العمال دراستهم الابتدائية والمتوسطة والثانوية. وتخرج بعضهم في الجامعة بعد أن أتم تعليمه الجامعي والعالي.

● **رفع مستوى القرى والفلاحين:**

وجه السباعي وإخوانه عنايتهم إلى القرى وطالبوا برفع مستواها. . وطافوا الكثير منها، وعاشوا مع الفلاحين وعرفوا مشاكلهم، وطالبوا برفع مستواهم وإنصافهم، وتحقيق العدالة الاجتماعية في محيطهم، وقد رفعوا أصواتهم بذلك في المجلس النيابي، معبرين عن مشاعرهم، حيث طالبوا بإيصال الكهرباء إلى جميع القرى النائية وتوفير المياه والمدارس والخدمات الصحية لها. . ولم يكتف السباعي بدعوة الحكومات للقيام بذلك، بل بادر إلى تأليف لجان من الإخوان فيها أطباء وعلماء وموجهون يقومون برحلات أسبوعية إلى القرى، يزورون فيها الفلاحين ويقدمون لهم الخدمات الصحية والتعليمية ويرشدونهم إلى طريق الخير.

● **إنشاء المدارس والمعاهد:**

قام السباعي مع نفر من إخوانه بتأسيس المعهد العربي بدمشق الذي شمل جميع المراحل التعليمية من الحضانة إلى الثانوي للذكور والإناث، كما أسسوا مثل هذه المعاهد في بقية مراكز المحافظات السورية[1].

● **الأندية الرياضية:**

كان السباعي يشجع الشباب على ممارسة أنواع الرياضة والفتوة

(١) محمد بسام الأسطواني: مجلة حضارة الإسلام ـ الأعداد ٤، ٥، ٦، عام ١٩٦٤، ص١٥٦.

ليكون الشباب قوياً في جسمه، قوياً في روحه، فساهم في تأسيس عدد من الأندية الرياضية في مراكز الإخوان في جميع المحافظات، وكان أقوى هذه الأندية: نادي فتيان بدر في دمشق لكرة السلة، والنادي الرياضي في باب الجابية، والنادي الرياضي في الميدان، ونادي القادسية في حمص، والنادي الرياضي في اللاذقية وغيرها.

كما عمل على تربية الشباب تربية عسكرية خشنة فأنشأ لهم «نظام الفتوة»، وقد انتظم الشباب في كتائب وفرق تعودوا فيها على النظام والخشونة والرجولة، وتدربوا على مختلف الألعاب الرياضية. وكان السباعي رحمه الله القائد العام لفتوة الإخوان المسلمين إلى أن حلّ الشيشكلي هذه المنظمات وصادر ممتلكاتها.

وقد كان للفتوة دور كبير في المحافظة على النظام وإضفاء هيبة الحركة على الاحتفالات والمهرجانات العامة التي كانت تقيمها.. ويروي الأستاذ رضوان دعبول موقفاً من مواقف الفتوة فيقول:

«في عام ١٩٥٦ عقد السباعي مؤتمراً إسلامياً في دمشق، حضره نخبة من علماء المسلمين في جميع أنحاء العالم. وقد ترأس السباعي هذا المؤتمر الذي تم فيه بحث قضايا ومشكلات العالم الإسلامي. وكانت الجلسة الختامية في ساحة جامع دنكز.. وكنت وقتها طالباً في المرحلة الثانوية وممّن حضر هذا اللقاء.. وكان الخطباء يتحدثون، فإذا ببعض من حضر من الشيوعيين يحاول إثارة الشغب في الحفل.. ولما استمر الشغب، قال عريف الحفل كلمة دوّت في أرجاء المكان: «فتوّة.. أخرجوهم».. فما كان إلا أن خرج المشاغبون وعاد الهدوء إلى المكان.. وقد كان المتحدث هو الدكتور مصطفى السباعي».

● **المعسكرات الكشفية:**

أقام السباعي وإخوانه عدداً من المعسكرات الكشفية لشباب الحركة الإسلامية. . وكان أهم هذه المعسكرات في حمص، والزبداني، وبرود، وحلب (عين التل) واللاذقية[٢].

وكان الشباب يقومون برحلات جماعية إلى هذه المعسكرات. . وكان ما يتم فيها من تعارف وتوثيق لصلات الأخوّة، وطعام مشترك، وإلقاء الخطب في مساجد القرى إحدى أهداف الحركة الإسلامية. . كما كانت الفتوة والنشاط الرياضي، وتربية الشباب وتدريبهم أحد الجوانب المضيئة في حياة الدعوة. . زد على هذا أنّ جميع الشباب الذين كانوا يشاركون في هذه المعسكرات كانوا يستمتعون بحديث القائد المربّي الأستاذ مصطفى السباعي.

● **أعمال التعاون الخيري:**

ساهم السباعي وإخوانه بتأسيس عدد من اللجان لجمع الإعانات والتبرعات من الناس، وتوزيعها على المحتاجين من المرضى والعاجزين، وبعض الأسر الفقيرة التي تتعفف عن السؤال والاستجداء. كما عملوا على تنظيم يوم سنوي باسم «يوم الفقير» تطوف فيه اللجان على الأحياء والتجار، لجمع الإعانات وتقديمها للفقراء في مواسم الشتاء والأعياد. وساهموا في إنشاء عدد من المستوصفات الصحية لتقديم الخدمات الصحية المجانية للفقراء والمحتاجين[٣].

---

(٢) عبدالله الطنطاوي. . مقابلة في ١٩٩٤/١/٧.

(٣) محمد بسام الأسطواني: مجلة حضارة الإسلام، الأعداد ٤، ٥، ٦، عام ١٩٦٤، ص١٥٦.

المؤتمرات والرحلات:

كان السبـاعي رحمه الله ممّن يتقدم الصفوف بحمل المسؤولية.. ولهذا فقد كانت حياته مليئة بالنشاط، داخل البلاد وخارجها.. ولقد شارك في مؤتمرات كثيرة، كان من أهمها:

في عام ١٩٥١ رأس وفد سورية إلى المؤتمر الإسلامي العالمي في الباكستان، فكان من أبرز شخصيات المؤتمر وأكثرها نشاطاً وإنتاجاً.

وفي عام ١٩٥٣ شارك في المؤتمـر الإسلامي العام الذي عقد في

الدكتور السباعي رئيس الوفد السوري في المؤتمر الاسلامي بكراتشي ويظهر في الصورة الاستاذ الامير والاستاذ المبارك

القدس، وكان السباعي يومها نائباً لرئيس البرلمان السوري[٤].

(٤) كامل الشريف.. اتصال هاتفي في عمان في ١٩٩٤/١/٣.

وفي عام ١٩٥٤ رأس وفد سورية إلى المؤتمر الإسلامي المسيحي المنعقد في بحمدون، وألقى هناك خطابه المشهور عن «الإسلام والشيوعية» فذعرت له الدوائر الاستعمارية الغربية التي كانت تتستر وراء المؤتمر. إذ أن هذا المؤتمر قد تم بتنظيم من جمعية أصدقاء الشرق الأوسط الأمريكية، ودعيت إليه وفود من جميع أنحاء البلاد العربية وباكستان وتركيا وإيران وغيرها من بلاد العالم الإسلامي. وقد تردد الوفد السوري أول الأمر في قبول الدعوة ثم رأى السباعي وبعض إخوانه قبولها لإحباط ما قد يكون وراء المؤتمر من مناورات سياسية! فقد كان القصد من الدعوة إلى المؤتمر هو إنشاء كتلة عالمية باسم الإسلام والمسيحية ضد الاتحاد السوفييتي (سابقاً). ولم يكن بومها من مصلحة العرب الانقياد وراء المناورات الغربية لإنشاء هذه الكتلة.

وكان من أبحاث المؤتمر المقررة «جواب الإسلام على الشيوعية».. وقد وقع اختيار الوفود العربية على الدكتور السباعي لإلقاء كلمة عن «الشيوعية في نظر الإسلام»، فكتب كلمته وترجمت إلى الانجليزية، ثم ألقاها فضيلته، فكان لها وقع القنبلة، التي حوّلت المؤتمر إلى تظاهرة رائعة للانتصار لفلسطين واللاجئين والقضايا العربية والإسلامية.. وقد أعرب جميع أعضاء الوفود العربية والإسلامية عن إعجابهم الشديد بهذا الخطاب الجامع الذي اتصف بالجرأة والدقة العلمية والتاريخية والسياسية. أما بقية الوفود وخاصة الداعين للمؤتمر فقد تملكتهم الدهشة والارتباك أمام هذه المفاجأة التي فوتت عليهم أغراضهم وأضاعت عليهم الفرصة المنشودة.

وقد نشر هذا الخطاب في الصحف والمجلات السورية يومئذ، كما نشر كاملاً في نشرة المؤتمر، ضمن الأبحاث والكلمات التي ألقيت فيه.

والحق أن الخطاب المذكور يشكل وثيقة تاريخية، تمثل أحد المواقف الجريئة للسباعي، وتبرهن على الأصالة والعمق في الوعي السياسي لديه[٥].

وفي عام ١٩٥٦ عقد السباعي مؤتمراً إسلامياً في دمشق، حضره نخبة من علماء المسلمين في جميع أنحاء العالم.. وترأس السباعي هذا المؤتمر الذي تم فيه بحث قضايا ومشكلات العالم الإسلامي.

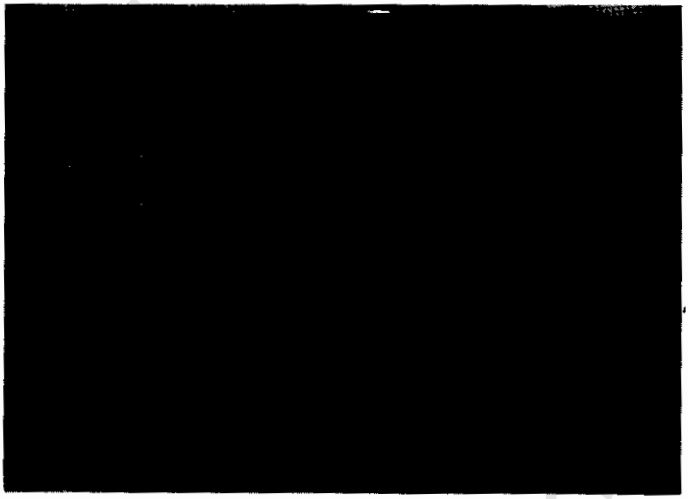

الفقيد مع لفيف من الطلاب العرب أمام المركز الإسلامي بلندن.

---

(٥) مجلة حضارة الإسلام ـ الأعداد ٤، ٥، ٦، عام ١٩٦٤، ص١٥٣.
وعبدالله الطنطاوي.. مقابلة في ١٩٩٤/١/٧.

وفي عام ١٩٥٦ أيضاً أوفدته الجامعة السورية إلى ديار الغرب لزيارة الجامعات الغربية والاطلاع على مناهج الدراسات الإسلامية فيها، فزار إيطاليا وبريطانيا وايرلندا وبلجيكا وهولنده والدانمرك النرويج والسويد وفنلندا وألمانيا والنمسا وسويسرا وفرنسا، واجتمع فيها بالمستشرقين من أساتذة الدراسات الإسلامية والشرقية، وناقشهم في مؤلفاتهم عن الإسلام، وكشف لهم أخطاءهم العلمية والتاريخية، وفضح أساليب بعض المستشرقين الغربيين الذين يحاولون الدس والافتراء على الإسلام وإظهاره بغير صورته الحقيقية(٦).

كما أنه استفاد من وجوده في تلك البلدان فألقى محاضرات في المساجد والجامعات، وفي الندوات التي دافع فيها عن حقوق العرب في فلسطين والجزائر وغيرها من قضايا العرب والإسلام، ومن أهم الخطب التي ألقاها خطبة الجمعة في مسجد باريس.

وفي عام ١٩٥٧ ذهب إلى موسكو مع إخوانه عمداء كليات الجامعة بدعوة من جامعة موسكو. زار خلالها معظم الجامعات الروسية في مختلف الأقاليم، والتقى بأساتذة الدراسات الشرقية والتاريخية والاجتماعية وناقشهم في أقوالهم وارائهم في الإسلام، كما ناقش غيرهم من الشخصيات السوفياتية فكشف لهم أخطاءهم ووضح لهم رأيه صريحاً في موقفه من الشيوعية في البلاد العربية، كما شرح لهم مواقف الشيوعيين في بلادنا من القضايا الوطنية والاجتماعية وفضح أخلاقهم وأساليبهم. كما بين لهم شناعة الجريمة التي يرتكبها الشيوعيون المحليون في بلادنا عندما يحاربون الإسلام ويقفون جنباً إلى جنب مع الاستعمار والصهيونية وعملائهما.

(٦) عبدالله الطنطاوي: كتاب الشيخ مصطفى السباعي، ص٣٥.

رحلات الحج والعمرة:

قام السباعي بعدد من الرحلات إلى الحج والعمرة. . وكانت أول مرة يتجه فيها إلى الأرض المباركة سنة ١٣٦٤هـ حاجاً مؤدياً ما فرضه الله من شعائر الحج والعمرة، فروى فيها ظمأ قلبه وروحه. ولكن هذا الظمأ بقي يهيج حنينه إلى تلك الديار رغم كثرة المشاغل والأعباء حتى يسّر الله له الفرصة فزارها حاجاً للمرة الثانية عام ١٣٧١هـ. أما الزيارة الثالثة فكانت في عام ١٣٧٥هـ مع بعثة من أساتذة كلية الشريعة وطلابها في جامعة دمشق. . وزاد شوقه وحنينه إلى الديار المقدسة بعد أن أصيب بمرضه عام ١٣٧٧هـ وعانى منه ما عانى مما لا يتحمله إلا رجال من أولي العزم والصبر. . وبالرغم من شدة المرض وقسوة الآلام التي لم تكن تفارقه لحظة واحدة، فقد عزم الأمر وحزم الأمتعة وتوجه إلى المدينة المنورة في رحلة إلى الله ورسوله، وذلك قبل موسم الحج عام ١٣٨٤هـ. . ولم يمنعه المرض والألم من أداء شعائر الحج. . فكانت هذه الرحلة «حجة الوداع» التي ودع فيها الديار المقدسة قبل أن ترتفع روحه الطاهرة إلى خالقها. . فكانت رحلته الأولى مقدمة طيبة لرحلته الأخيرة. وقد كتب أخبار هذه الرحلة في كلمة بعنوان «رحلة إلى الله ورسوله». . قال فيها[٧]:

«وأحب أن أعلن بهذه المناسبة أن الله أكرمني في الهامي بفكرة الحج أنواعاً من الكرامة لم يخيب فيها أملي برحمته ومعونته. .

فمن **أولها**: هيأ لي إخواناً في الله منذ ركبت الطائرة من مطار دمشق حتى عدت من الديار المقدسة، أحاطوني بعواطفهم ونبل شعورهم ومنهم من لا أعرفه من قبل ولا هو من بلدي الصغير، ولكن أخوة الإسلام ووطنه

---

(٧) مجلة حضارة الإسلام ـ العدد الثالث، عام ١٩٦٤، ص٣٠.

الكبير جعلهم يشعرون نحوي بشعور الأخ نحو أخيه أو أكثر.

ثانيهـا: أني قضيت في فترة أيام الحج أياماً لم أعرف مثلها خلال مرضي سبع سنوات كاملات، فلأول مرة منذ سبع سنين يهدأ الألم في دماغي وأقوى على الصلاة واقفاً على قدمي وأجلس للتشهد فيها، ولقد قدمت مكة فطفت طواف العمرة محمولاً على المحفة، ثم غادرتها وطفت طواف الوداع على قدمي.. وإني لأرجع ذلك إلى العقيدة وأثرها، وإلى بركة تلك الأماكن الطاهرة المقدسة.

ثالثـاً: إن الله تعـالى أكرمني بزوال آثار بعض الأمراض التي كنت أعـالج منها بالحمية كمرض السكر. ولكني منذ وصلت المدينة المنورة حرصت على أن أتصبـح كل يوم بسبـع تمـرات من تمـرهـا إيماناً مني بالحديث الصحيح «من اصطبح كل يوم بسبع تمرات ـ وفي رواية من تمر المدينة ـ لم يضره في ذلك اليوم سم ولا داء». وقد جربت الطب النبوي بنفسي وتحققت صحة الحديث الوارد في التمر. وطب النبوة إنما ينتفع به من تلقاه بالقبول واعتقاد الشفاء به وكمال التلقي له بالإيمان والإذعان.

وكـان السباعي رحمه الله كلما اشتدت به الآلام استغاث بالله جل شأنـه بمناجاة صادقة، أو قصيدة يلتجيء فيها إلى الله ورحمته الواسعة ويذكـر فيها رسوله ﷺ ومعجزاته في شفاء المرضى، ومن تلك القصائد قصيدته التي مطلعها:

يا سائق الـظعن نحـو البيت والحـرم ونحـو طيبـة تبغي سيد الأمم

وله كلمات طيبة ومناجاة لله سبحانه، ورد الكثير منها في كتابه «**هكذا علمتني الحياة**»، وهي تبين ما في نفسه من خالص الحب، وصفاء الودّ، وعظيم الشوق، وإعلان الطاعة للخالق جلّ وعلا.